

القصيدة نقطة ضوء صغيرة وشديدة القوة والتركيز

الصينية شي شي ران: الشعر إحساس بالمسؤولية

شي شي ران شاعرة ورسامة معاصرة من مقاطعة خبي في الصين، تخرجت في كلية الفنون الجميلة وشاركت بلوحاتها في الكثير من المعارض. هي عضو في اتحاد الكتاب الصينيين، وصدر لها العديد من المجموعات الشعرية مثل "وحدها العتمة تغمر الروح"، "التجول في شوارع الصين"، "شجرة الكاكي"، "يوميات ملابس الحداد". وحصدت العديد من الجوائز الشعرية الرفيعة، وترجمت أعمالها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والرومانية والسويدية والعربية، ولغات أخرى.

ميرا أحمد

الذي كان يمنحني إياه، عندها أدركت أن هذا العالم غير مكتمل.

ما نعرفه عن الشعر الصيني المعاصر قليل، ربما نظرنا إلى قلة الترجمات، لكن الشعر الصيني عرف تطوراً كبيراً بخروجه عن الكلاسيكية والتقليدية والرومانتيكية، ودخوله إلى عوالم الإنسان المعاصر وإزمامته الوجودية العميقة. لكنه حافظ على كفافته الناصعة. في هذا الحوار مع الشاعرة والرسامة الصينية شي شي ران نتعرف على هموم وأفكار وتطلعات شاعرة تمكنت من خلال نتاجها الشعري المميز من وضع اسمها على خارطة أفضل الشعراء والشعراء المعاصرين في الصين.

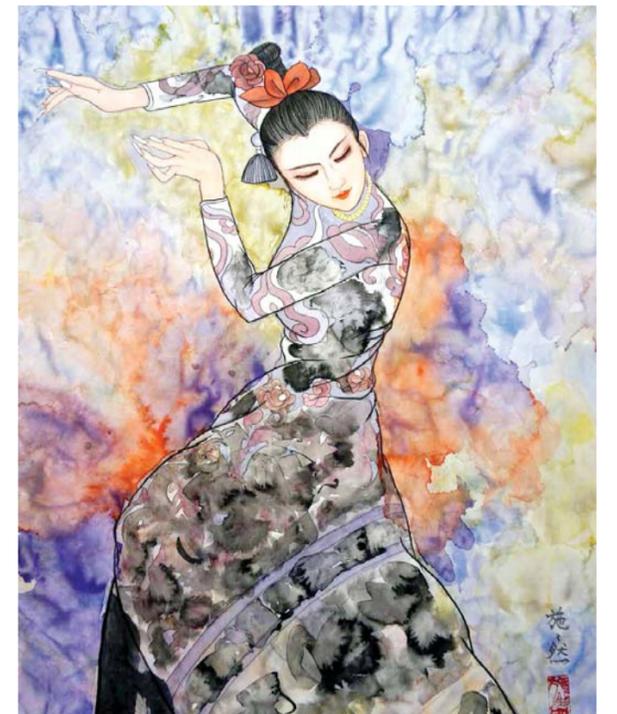
■ **الجديد:** عادة ما تكون مرحلة الطفولة العالم الأكثر تأثيراً في حياة الشاعر. كيف كانت طفولتك؟ وما هي العوامل التي أثرت في نشأتك؟

● **شي شي ران:** ولدت في سبعينات القرن الماضي في بلدة صغيرة صوب الشمال. ومن المنظور العالمي في الوقت الراهن، يمكن القول إنني عشت في فترة زمنية خاصة تتسم بالانفلاق والتحفيز بعض الشيء، وفق المعرفة وعدم توافر المعلومات.

ولقد شعرت بهذا الانفلاق، أو ذلك التحفظ، عندما كانت عائلتي وأصدقائي بمثابة العالم المكتمل في عيني خلال مرحلة الطفولة.

يبدو أن الأمر يشبه على نحو ما ما ذكره الفيلسوف الفرنسي روسو من أن الطفولة هي "مرحلة استرخاء الفهم والإبراك". وسرعان ما لاحت تباشير الإصلاح والانفتاح في الثمانينات داخل الصين. الذكريات الحلوة المرتبطة بتلك الفترة لم تبحر ذاكرتي؛ ما زلت أذكر معطف أبي العسكري في الشتاء، وعلبة الطعام الحديدية وهو يحملها معه إلى العمل، وعندما اصطحبني إلى مطعم الوحدة بعد أن تقاضى أول راتب شهري، يومها تناولت قطع اللحم المشوية الصغيرة، وأذكر كيف كنت أجلس خلفه على الدراجة، وأمسك بحلوى القرع، مثل هذه التفاصيل ساهمت في نسج خيوط ذكريات الطفولة البعيدة.

مرة اصطاد أبي عضفواً صغيراً وأعطاه لي، حتى الآن ما زلت أستشعر السدف والبرقة في راحة يدي. هناك الكثير من تفاصيل تلك الحياة اليومية، لكنها للأسف، عادة ما تفر من باب الذاكرة. كل تلك الأشياء اللطيفة كانت تكفي لكي تمنحني طفولة هنيئة، إلى أن جاء ذلك اليوم، عندما تعرض أبي فجأة لحادث سير وفارق الحياة، ورحل معه كل الحب



رسومات الشاعرة هادئة كالأحلام



الرسم يفيد في بناء القصيدة

قصائد شي شي ران

أتمنى رؤية الغروب معك

على بحر إيجة

نعم، تماماً هكذا
ضع يدك اليسرى حول خصري
فأنت تعلم أنني أود أن أمنحك كل ما

عندي
أصابع الحكمة على عظم جسدي
مثل موج يطغى ويطغى
في بحر إيجة
أنت الحقيقة

وأنت السراب
غمامات السماء تحلق فوق وجه البحر
وعند اللقاء مشاعر تغور وتغور
مثل نبيذ تركي مركز
في لحظة ما، سينفجر
أحبك

أكرهك
وبين حبي وكراهي
ضاع كل شيء
ضاع كل ما كان
أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

هي وحدة متصلة
سكنت القلب
سكنت في عمق القلب.

أغفر لي
هواك في طي الفؤاد
وأهجر وأمنع في البعاد
وسط الشمس الجريحة
النازفة بالدماء على أركان السماء
فقر حوت البحر
وغاص ثانية في فم البحر
وأحتجب في حفرة سوداء
فرحة غائبة

شخصية مؤثرة في حياتي؛ وكان الأثر بالغاً في أمور كثيرة، مثل حساسيتها المرهفة نحو العالم، وإدراكها العالي، وشخصيتها التي تحمل المتناقضات ما بين القوة والمثابرة والوداعة.

وقد ألقى حادث وفاة أبي البذرة الأولى داخلي، ودفعني بشكل مباشر إلى كتابة الشعر، وقد الهمني كثيراً وشجنتني بفيض من المشاعر، وفجر داخلي طاقات إبداعية كبيرة.

■ **الجديد:** تاريخ الشعر الصيني حافل بأسماء لامعة نبوت مكانة مرموقة فيه، وشكلت معايير لتقييم الشعر. من هو الشاعر الذي تأثرت به؟ وأسهم في تشكل عالمك الشعري الخاص؟

● **شي شي ران:** حينما نشرت مجموعتي الشعرية في عام 2016 "وحدها العتمة تغمر الروح"، طلبت من ثلاثة من الشعراء المقربين إلى قلبي كتابة كلمة على غلاف الديوان، وحينما أصدرت الديوان الأخرى كتب هؤلاء الشعراء قراءات ومراجعات، وقد أفادت القراءات بأن النواوين تحمل كلاً ربيع المستوى وإنجازاً أدبياً كبيراً، وكان لهذا التقييم بالغ الأثر في مساري الإبداعي (على الرغم من أن العالم الشعري الذاتي تشكل لدي من أشياء خاصة، إلى جانب المطالعة الدائمة والفكر المتواصل) إنني لأشعر مع نخبة ممتازة من الشعراء وفي الزمن نفسه، وأعني بهم: شي تشوان، يانغ كه، وانغ جيا شين، يي جيان، بان وي.

■ **الجديد:** وقت الكتابة أكثر أوقات الكاتب والشاعر متعة وخصوصية. ما هي طقوس الكتابة لديك؟

● **شي شي ران:** أكتب في لحظات هدوء النفس وسكينة القلب. أبدأ بالكتابة على دفتر الملاحظات، ثم أنقلها إلى الحاسوب، ثم تكرر عملية التحرير مرات عدة حتى أصل إلى المسودة النهائية، طقوسي بسيطة وليست معقدة.

■ **الجديد:** ما هي مشروعاتك الأدبية القادمة؟

● **شي شي ران:** صدر لي حتى الآن أربعة دواوين شعرية هي: "شجرة الكاكي"، "التجول في شوارع الصين"، "يوميات ملابس الحداد"، و"وحدها العتمة تغمر الروح".

وقد حصل الديوان الأول "شجرة الكاكي" على الجائزة التشجيعية في الأدب في مقاطعة خبي، ثم حصص العديد من الجوائز الشعرية الرفيعة الأخرى. بعدها كتبت مجموعة قصائد، لكنني في الوقت الحالي أتاني بعض الشيء في نشر ديوان خامس، أنتظر حتى يتوافر لدي القدر الكافي من القصائد التي أرضى عنها تمام الرضا.

مؤخراً حررت "مختارات من الشعر النسائي الصيني"، وضم فريق التحرير عشر من أشهر الشعراء الصينيات المعاصرات، وكما تعلمين أنه - حتى على المستوى العالمي - ما زالت مسألة اضطهاد المرأة تمثل قضية هامة لا يمكن تجاهلها.

يقبض الشاعر عليها ويسلك بخيوطها. كيف تولد القصيدة لديك؟ وهل تجدين صعوبة في اختيار عناوين القصائد؟

● **شي شي ران:** ولادة القصيدة أشبه بثمره فاكهة تنمو على غصن الشجرة. قبل أن تزهر الثمرة لا بد للشجرة أن تضرب بجذورها عميقاً في الأرض، وتمتص أشعة الشمس، وتتغذى من الهواء وتتغذى من التربة. وما ترغب التعبير عنه القصيدة إنما يتأتى من تجارب حياتية متراكمة ولا يأتي من فراغ، فهي بذرة مدفونة، عن قصد أو دون قصد في قلب الشاعر، وتنتظر الوقت المناسب حتى تنمو وتترعرع. الشاعر هو تلك الشجرة التي تزهر فوق غصونها ثمرات الفاكهة.

لا أجد صعوبة في اختيار عناوين القصائد، أليس الأصعب هو كيفية الولوج إلى عمق القصيدة؟ ومن خلال تجربتي، عناوين القصائد تنساب أمامي مثل ماء دافق.

■ **الجديد:** شعاع قصيدة النثر التي تخلو من الوزن والتعقيد. فما رأيك بقصيدة النثر؟ وهل أنت مع تصنيفها تحت سمي الشعر؟

● **شي شي ران:** بالمقارنة مع القوالب الأدبية الأخرى، أرى أن مواطن سحر الشعر إنما تكمن في تكتيف المعاني واختزال الصياغة، وليس في الإسهاب؛ في تكتيف المشاعر وتجسيد الفكرة في لحظات وكلمات مكثفة وموجزة، من دون الحاجة إلى الإطناب حتى لا يفقد الشعر سحره. وعلى أي حال، أنا لا أولي اهتماماً بـقصيدة النثر.

■ **الجديد:** يقول أغلب النقاد إننا نحيا في عصر الرواية، فيبعد غزو التكنولوجيا لم تعد هناك حاجة للشعر والمحسنات البيعية والزخرفة اللفظية؟ هل تشعرين أن الشعر فقد قيمته في مواجهة الأجناس الأدبية الأخرى؟

● **شي شي ران:** من قال هذا؟ هناك فئة من الشعراء وقراء الشعر ما زالت تحافظ على قيمة الشعر، وعلى الرغم من أن النسبة ليست كبيرة، لكن معايير قيمة الأشياء ليست معايير كمية؛ في قيمة الأحيان نقطة الضوء الصغيرة تكون شديدة القوة والتركيز. ومن الصعب المقارنة بين الشعر في قدرته على التعبير عن مخزون المشاعر وتفريغ الشحنات العاطفية والإنسانية، وما يحققه من عزاء للنفس وتنفيس عن المشاعر حبسية الصدور التي لا تجد سبيلاً لاستيعابها بواسطة الأجناس الأدبية الأخرى، ومن هذا المنطلق، لن يندثر الشعر إلى الأبد.

■ **الجديد:** مغامرة الشاعر هي خلاصة تجارب حياتية وإنسانية عاشها شكلت وجدانه، وألهبت مشاعره حتى صار لديه فيض من المشاعر. ما هي التجارب الذاتية والإنسانية التي عشتها وكان لها أثر كبير في تشكيل عالمك الشعري وإبداعك الأدبي؟

● **شي شي ران:** إذا خضنا في هذا الأمر تفسيراً وتحليلاً، فستكون أمة هي أكثر

■ **الجديد:** في جانب منه، الشعر تجسيد لأفكار الشاعر، وتعبير عن مشاعر وانفعالات قوية، وتجارب حياتية لتحقيق توازن نفسي داخلي. ما هي موضوعات نتاجك الشعري؟ وما الذي منحك الشعر إياه خلال سنوات من الكتابة؟

● **شي شي ران:** تتنوع موضوعات قصائدي؛ فمُنذ وقت مبكر وأنا أولي اهتماماً بالتعبير عن الحب ومشاعر الأوبة والأمومة، والموضوعات التاريخية والتعبير عن المشاعر الإنسانية، حتى بلغت مرحلة أخرى من الاستكشاف وتامل الأشياء المادية في العالم من حولي، ثم تبعها تسجيلات لاسفاري ورحلاتي عبر بلدان العالم.

■ **شي شي ران:** لا أشك أن ليس كل من نظم الشعر يكون شاعراً، فهذا أمر مفروغ منه. الشعر يعبر عن طموح الشاعر وفكره. ومنذ تطور الشعر الحديث، من استعادة كلمات الماضي ومصولاً إلى سرد الحاضر، نتلمس أن اللغة تملك إلى التحول من الصور المزخرفة إلى لغة منطوقة مباشرة، يمكن التعبير عنها بطرق شتى، وفي قوالب شعرية مختلفة. وعلى الرغم من ذلك، فإننا وبسط هذا الكم الهائل من بحور القصائد يتسنى لنا التمييز بين الشعر الذي يقبع خلفه شاعر عظيم، والشعر الذي يقبع خلفه مجرد شاعر هاو. وبالإضافة إلى بنية القصيدة والمهارات اللغوية، والزخرفة اللفظية والصنعة الشعرية، فإن المعيار الأساسي لتقييم جودة القصيدة هو الأفكار المستقلة والرؤى الذاتية للشاعر. وهنا يتحتم علينا تقدير الشاعر الذي فض مكنون مشاعره، وأفرغ الشحنات العاطفية الزاخرة، ووجه انتباهه إلى فئة أكبر من الجماهير، وأولى عناية بمصير الإنسانية والمجتمع البشري.

■ **الجديد:** يختلف الشعراء في ما بينهم، ولكل شاعر سمة خاصة تميزه عن الآخر. ما طبيعة الاختلاف بينك وبين غيرك من الشعراء الصينيين؟ كيف يمكن الحديث عن سمات عالمك الشعري الخاص؟

● **شي شي ران:** أريد بعض الشعراء والنقاد رأيهم في أعمال الشعرية وأروا أن شعري يجمع بين "النزعة الكلاسيكية" و"البعد الطليعي"، مثل الشاعر شي تشوان، والناقد شي مينغ. ومن ثم عرفت أن ثمة اختلافاً بيني وبين غيري من الشعراء. أشعر أن النزعة الطليعية قيمة هامة في شعر الشاعر؛ فهي لا تنطوي على أفكار الشاعر ومشاعره فحسب، بل تعبر عما يفصح عنه الشعر من شعور بمسؤولية اجتماعية معينة، وأن هذه تسهم في تشكل الهيكل البنائي والدعامة الأساسية للقصيدة. أما النزعة الكلاسيكية فتمتد علاقة تجمع بينها وبين نشأتي وتكويني؛ أنا أهوى الرسم، وأوبرا كونكو وأوبرا بكين، وأعشق البدايات العتيقة الأثرية، وغيرها من أشكال الفنون الكلاسيكية الأخرى.

● **شي شي ران:** أريد بعض الشعراء والنقاد رأيهم في أعمال الشعرية وأروا أن شعري يجمع بين "النزعة الكلاسيكية" و"البعد الطليعي"، مثل الشاعر شي تشوان، والناقد شي مينغ. ومن ثم عرفت أن ثمة اختلافاً بيني وبين غيري من الشعراء. أشعر أن النزعة الطليعية قيمة هامة في شعر الشاعر؛ فهي لا تنطوي على أفكار الشاعر ومشاعره فحسب، بل تعبر عما يفصح عنه الشعر من شعور بمسؤولية اجتماعية معينة، وأن هذه تسهم في تشكل الهيكل البنائي والدعامة الأساسية للقصيدة. أما النزعة الكلاسيكية فتمتد علاقة تجمع بينها وبين نشأتي وتكويني؛ أنا أهوى الرسم، وأوبرا كونكو وأوبرا بكين، وأعشق البدايات العتيقة الأثرية، وغيرها من أشكال الفنون الكلاسيكية الأخرى.

■ **الجديد:** لحظة ولادة القصيدة لحظة عسيرة، وتختلف فرصة كل قصيدة عن الأخرى. في بعض الأوقات تأتي القصيدة في لحظة مباغتة، تطوف اللحظة الشعرية وتحلق وتزوغ إلى أن

ينشر كاملاً بالاتفاق مع «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية